مجلة علوم التربية

دورية مغربية فصلية متخصصة

العدد الثاني والخمسون - يونيو 2012

التحفيز والوضعيات التعليمية التعلمية:
إسهامات علم النفس التربوي

بنوا غالون Benoît Galand
ترجمة: جمال الحنصالي
باحث في علوم التربية

كيف يمكننا دعم أو إثارة اهتمام التلاميذ بالمواد الدراسية ؟ كيف يمكننا مساعدة المتعلمين على حسن إدارة مشاركتهم ضمن أنشطة التعلم؟ كيف يمكننا تهيئ مناخ مواتي للتعلم داخل الفصل الدراسي؟ كيف يمكننا التصدي لظاهرة « نزعة التغيب المدرسي »أو ما يسمى ب Absentéisme في صفوف التلاميذ ومعالجة آفة التسرب أو الانقطاع الدراسيين؟

تعد أسئلة التحفيز من القضايا الجوهرية التي تتموقع في صميم التحديات التي تطرح أمام الفاعلين التربويين. العديد منهم، مع ذلك، و في كثير من الأحيان، يشعرون بعدم الاستعداد و نوع من الاغتراب اتجاه هذا النوع من القضايا.

لقد عرفت البحوث التي اتخذت « التحفيز » موضوعا لها تطورات مهمة خلال السنوات القليلة الماضية، وبخاصة، في علم النفس التربوي، لكنها تبقى غير معروفة على الصعيد المهني. الحال أن هذه الوضع المؤسف له دفع بالعديد من الفرق التربوية سواء الفرنسية أو السويسرية أو الكيبيكية أو البلجيكية.. إلى الإسهام بنشاط و فعالية قصد الانخراط في هذا التيار البحثي المتميز.

هذا المسألة الموضوعية توفر فرصة لبعض هذه الفرق التربوية لاستعراض و تحديد بعض الأسئلة-المفاتيح (القضايا الرئيسية) المتعلقة بالتحفيز، وتسطير الرهانات النظرية والاجتماعية التي تتخلل أعمالهم، ثم وضع تصميم أو بيانات لمسارات الفعل التي انبثقت من خلالها.

إن البحوث التي قدمت من لدن هذه الفرق التربوية تظهر جليا التطورات الأخيرة الحاصلة على مستوى دراسة سيرورة التحفيز. (Bourgeois، 2006 ; Pintrich، 2003). إنها بحوث/محولات ترنو تفادي الوقوع في منزلقين اثنين متعارضين؛ الأول: يخضع التحفيز بشكل حصري للعوامل الداخلية للمتعلم أو على العكس من ذلك، الثاني: يخضع التحفيز فقط للعوامل الخارجية للمتعلم. إنها أيضا بحوث تسعى إلى تعبئة مجموعة متنوعة من الأطر النظرية المستخدمة على نطاق واسع في الأدبيات العلمية الدولية وتتداخل جزئيا: توقعات النجاح و قيمة المهمة valeur de la tâche، تقرير المصير، أهداف التحقق، والصراع السوسيومعرفي وما إلى ذلك... تهدف هذا البحوث أيضا إلى الذهاب إلى أبعد من مجرد تحليل - أحادي إحصائي للتحفيز لإعادة تسجيلها في سياق أشمل وديناميكية زمنية. من هذا المنظور، توفر هذه البحوث تقدما دالا في إدماج الأبعاد العاطفية والعلائقية في الدراسات الحالية المرتبطة بالتحفيز (Cosnefroy، 2004). وتتميز أيضا هذه البحوث بحرصها على التعبير في إطار الأعمال البحثية عن القضايا النظرية والآثار العملية.

غالبا ما نربط مشاكل غياب التحفيز بصعوبات التعلم و الفشل الدراسي. المقالة التي كتبها كل من (تريز بوفار Thérèse Bouffard و كارول فيزو Carole Vezeau وروش شوينار Roch Chouinard وجنيفيف ماركوت Geneviève Marcotte) تلفت الانتباه إلى ظاهرة غير معروفة بشكل كبير تدعى « وهم اللاكفاية » l'illusion d'incompétence: يشير هذا المصطلح إلى الطلاب الذين يملكون قدرات فكرية عادية، لكنهم يستهينون ويقللون إلى حد كبير بكفاياتهم المدرسية. و في نفس السياق، فقد لاحظت دراسات سابقة هذه الظاهرة بين الطلاب مع إمكانات عالية. و قد بينت، من جهتها، أعمال فريق تريز بوفار Thérèse Bouffard أن « وهم اللاكفاية » يسجل أيضا في صفوف تلاميذ التعليم الابتدائي العام بنسبة كبيرة. هذا التفاوت السلبي الكائن بين القدرات التي ثم قياسها على الأقل بواسطة اختبار واحد و تصورات الكفايات المرتبطة بالمتعلمين ليست هي نفسها. و كما تشير هذه المقالة، فالشعور بالكفاية هو في الواقع عنصرا رئيسيا في الديناميكية التحفيزية للتلاميذ ورصيدا للنجاح. تشير الدراسة إلى أن التلاميذ المتضررين من وهم اللاكفاية يشعرون بأن آبائهم و أمهاتهم ينظرون إليهم نظرة دونية باعتبار أن كفاياتهم ناقصة، مما يجلب لهم ضعفا في احترام الذات، ويقرون بأنهم، جوهريا، أقل تحفيزا للمواد الدراسية، ويظهرون، بالتالي، مستوى عال من الكمال والإتقان، ويعتقدون أن مسألة فشلهم أو نجاحهم هي إلى حد كبير خارجة عن سيطرتهم و إرادتهم. إن هؤلاء التلاميذ يجدون أنفسهم في وضعية متناقضة؛ فعلى

ما يبدو، يتوفرون على قدرات معرفية habiletés cognitives تسمح لهم بالتفوق في المشوار الدراسي، لكن الصورة التي يرسمونها عن قدراتهم الشخصية تؤدي إلى تثبيط عزيمتهم وبالتالي إعاقة نجاحهم الدراسي. الحال أن الصعوبة التي يواجهها هؤلاء التلاميذ هي صعوبة ذات طبيعة تحفيزية، لكن جذور و أسباب ظاهرة « وهم اللاكفاية » لا تزال غامضة. وإذا كان الرهان التربوي يتخذ حجما معينا و من المرجح أنه سيستوجب حملة توعوية، فإننا حاليا لا نعرف الشيء الكثير عن الكيفية التي من خلالها يمكن تقديم يد المساعدة لهؤلاء التلاميذ.

يركز نص (Jean-Luc Gurtner, Alida Gulfi, Isabelle Monnard et Jérôme Schumacher) على التطورات التي تعرفها مسألة التحفيز ضمن الأنشطة المدرسية وذلك خلال مرحلتي الطفولة و المراهقة. فقد استهل كتاب هذا النص بالتشكيك في مسألة فردانية (أحادي الجانب) مفهوم « التحفيز» مبينين أن أنه يغطي مكونات مختلفة. إذا فمصطلح « الدينامية التحفيزية dynamique motivationnelle » يبدو أكثر ملاءمة. تم بعد ذلك استعراض سلسلة من الدراسات الطويلة التي كانت مهمتها تتبع التلاميذ على مدى عدة سنوات. هذا الدراسات نفسها أشارت إلى أن مستوى التحفيز المدرسي لدى التلاميذ يميل إلى الانخفاض على مدى التقدم في التعلم المدرسي. ومع ذلك، فالتطور لا يسير في نفس مكونات التحفيز التي تمت معالجتها وفقا للمادة الدراسية المقترحة. فقد نوقشت مجموعة من العوامل التي يمكنها أن تفسر هذه التطورات والتي تتعلق بالتلاميذ أكثر مما تتعلق بالبيئة المدرسية و أو الأسرة. إذا كان التراجع النسبي للتحفيز من أجل العمل المدرسي يبدو ذلك « طبيعيا « مع التقدم في السن، فهذا التراجع يتحول عند بعض التلاميذ إلى فقدان التحفيز démotivation الذي يمكن أن يذهب بهم إلى حد الانقطاع الدراسي. فقد ركز الكتاب على العوامل القابلة للتنبؤ بتطورات التحفيز في فترة المراهقة، على أمل منع التسرب المدرسي والآثار السلبية الناجمة عنه. و توصل هؤلاء الكتاب إلى أن المذكرات المدرسية و التحفيز لا يسيران دائما جنبا إلى جنب، في حين كلاهما يعتبران منبئا مهما للتسرب الدراسي. كما فكر الكتاب نفسهم في بعض الوسائل الكفيلة بدعم التحفيز لدى التلاميذ، و ذلك بالاشتغال على طبيعة المهمات المدرسية tâches scolaires و العلاقات مدرسين- متعلمين و مناخ الفصول الدراسية، ثم الوضعيات البيداغوجية المنفذة. إنهم أيضا يشيرون إلى أن الطلاب المنقطعين عن الدراسة قد يظهرون ويقدمون سُحنا profils مختلفة من عوامل الخطر وأن التدخلات قد تكتسب فعاليتها من خلال التكييف مع هذه السحن المختلفة. يحدد الاستنتاج ذلك الإحساس بالكفاية، والمتعة المحققة في المدرسة والشعور

بفائدة التكوين باعتبارها من العناصر الرئيسية الموضوعة من أجل التدخلات التي تستهدف دعم تحفيز التلاميذ.

ركزت (سلين دارنون Céline Darnon وآخرون) في مقالها على عنصر آخر من عناصر الدينامية التحفيزية لدى المتعلمين و هو: **أهداف الإنجاز**، هذا النوع من الأهداف يشير، في الواقع، إلى تحدي من التحديات الراهنة بشكل خاص للمتعلمين ضمن المهمات التعليمية التعلمية و هو أن يصبحوا ذو كفاية (أكفاء). لقد أشارت البحوث التربوية إلى شيء مهم وهو أن مسألة الإحساس بامتلاك كفاية ما، يمكن أن يدركها المتعلمون و ذلك بإتباع منهجين مختلفين على الأقل وهما: مثلا أن يدرك المتعلم ويفهم أكثر ثم يعمل على تحسين كفاياته (أهداف الإتقان)، أو مثلا عبر الحصول على نتائج جيدة مقارنة مع المتعلمين الآخرين مع إثبات وإظهار مستوى أفضل

من الآخرين (**أهداف الأداء buts de performance**). كما يمكن للمرء أن يتوقع تناسل كل هذه المبررات و التي لها انعكاسات مهمة على الكيفية التي سيعالج بها المتعلم أنشطة التعلم. تكمن أصالة برنامج البحوث المقدمة ضمن هذه المقالة في توضيح تلك الأهداف الإنجازية بمعية مفهوم الصراع. هذا المفهوم يشير إلى الحالات التي يكون فيها هناك خلاف بين المتعلمين حول التعلمات المحققة. في نفس السياق، تؤكد تيارات مختلفة من الأبحاث أن مثل هذه النزاعات أو الخلافات يمكن أن تكون محركا قويا للتعلم، لكن كل هذا يتوقف على كيفية تنظيم هذا الصراع. مع ذلك، فالدراسات المنشورة تبين هنا أن التركيز على **أهداف الإتقان** يعزز تعديل الصراع على أساس إيجاد حل وسط مع الأخذ بعين الاعتبار وجهات نظر مختلفة، ويحرض على التعلم، في حين التركيز على أهداف الأداء يعزز تنظيما يقوم على فرض وجهات النظر أو تفنيدها، الشيء الذي لا يدعم الفعل التعليمي التعلمي. وتشير الدراسات نفسها أن التركيز على أحد أنماط هذه الأهداف يرتبط أساسا بالفروق الفردية، و لكن يرتبط أيضا بالخصوصيات السياقية لوضعيات التعلم المقترحة. بعبارة أخرى، فإن النتائج الموضحة في هذه المقالة تدعوا مهنيي التربية والتكوين إلى تطوير أنشطة التعلم التي من شأنها تسليط الضوء على **أهداف التمكن** وفي نفس الآن تشجيع ظهور الصراعات السويسومعرفية. والجدير بالذكر أن هذه الأعمال التربوية محاولة لإعادة دراسة التحفيز في دينامية ذات صبغة اجتماعية.

تدل المقالة التي كتبها كل من Laurence Filisetti Kathryn Wentzel Éric Dépret بصيغة تكاملية إلى أن مخاوف التلاميذ لا تقتصر على الكفايات وسبل النجاح فقط، ولكنها تشمل أيضا الجوانب الاجتماعية. وبعبارة أخرى، فالتلاميذ لا يسعون فقط إلى تحقيق أهداف الإتقان داخل المدرسة، بل يسعون كذلك إلى تحقيق أهداف ذات طابع

اجتماعي كالاتسام بالقبول داخل الحجرة الدراسي، وربط علاقات الصداقة مع الآخرين، والتعاون مع المدرسين أو احترام قوانين المدرسة.. إن العديد من الدراسات التي قدمت في هذه الورقة تشير إلى السعي وراء تحقيق الأهداف الاجتماعية يبدو أن له أثر إيجابي على الأداءات المدرسية للمتعلمين. ويرجع ذلك، حقيقة، إلى أن الأهداف الاجتماعية تتطلب كفايات معينة تؤدي إلى النجاح، وتعزز الاندماج داخل الجماعة الصفية وتعمل على تسهيل التفاعل الإيجابي مع المدرسين الشيء الذي يدعم الالتزام المدرسي l'engagement scolaire. السؤال الذي يطرح نفسه بعد ذلك هو؛ ما الذي يؤثر على تبني أو اعتماد هذه الأهداف الاجتماعية؟ بالنسبة لأي تلميذ، أن يشعر بأنه كفء في المدرسة و بأن المدرس يثق به ويؤمن بقدراته ومهاراته..عوامل ترتبط إيجابيا بالأهداف الاجتماعية التي يمكنه أن يحققها. كذلك تصورات التلميذ حول كفاياته الاجتماعية واندماجه في الفصل الدراسي، لها صلة إيجابية مع الأهداف الاجتماعية من خلال شعوره بالاستقلالية. هذه البحوث تطرح أسئلة جديدة، لكنها ذات ميزة كبيرة لكونها تجعلنا نتذكر أن اكتساب المعرفة و«العلائقية» le relationnel ليسا شيئين متناقضين، وأن المدرسة هي أولا وقبل كل شيء فضاء اجتماعي.

أخيرا، فمقال كل من Benoît Galand و Pierre Philippot و Mariane Frenay يحاول أن يتجاوز بعض النصوص السابقة من خلال معالجة بالتفصيل للعوامل البيداغوجية التي قد تؤثر على التحفيز لدى التلاميذ، وتكيفهم المدرسي بصورة أشمل؛ (بمعنى إنشاء تفاعلات بناءة نسبيا بين التلاميذ وبيئتهم المدرسية). انطلاقا من نظرية الأهداف، يستعرض النص و لفترة وجيزة الدراسات التجريبية التي تعالج الكيفية التي يمكن لبعض المتغيرات التي أدخلت في أنشطة التعلم أن تؤثر على التزامات و مشاركات التلاميذ. إنها دراسات تم تقديمها لاحقا، تربط بين الممارسات الصفية من قبل المدرسين ومشاركات والتزامات التلاميذ. وتظهر النتائج الإجمالية أن أهداف الإنجاز المتبعة من لدن التلاميذ ليست صفات ثابتة غير قابلة للتغيير ولكنها حساسة للتغييرات السياقية، ومع ذلك فإن معظم الدراسات المتاحة تركز على تصورات التلاميذ حول المناخ التحفيزي والممارسات الصفية التي يواجهونها. بما أنه يتم تحليل هذه الدراسات على المستوى الفردي، فمن المستحيل القول ما إذا كانت وجهات نظر التلاميذ تعكس تغييرات حقيقية فعلية في البيئة المدرسية أو ما إذا كانت تعكس تفسيرات شخصية. لقد تمت، إذن، إعادة النظر في سلسة من الدراسات باستعمال تقنية التحليل متعدد المستويات و ذلك من أجل اختبار ما إذا كانت بعض الممارسات الصفية يمكن لها تفسير اختلافات التكييف المدرسي في صفوف تلاميذ المدارس الإعدادية، وذلك عندما التحكم في الاختلافات التركيبية. إن مؤشرات

التكييف المدرسي التي تمت معالجتها هي كالتالي: أهداف الإنجاز، الشعور بالانتماء، استخدام العنف وجها لوجه كموقف، الغضب، التوترات بين المجموعات، مخاطر التعرض للأذى في المدرسة. وتظهر النتائج أن جميع هذه المؤشرات تختلف باختلاف الفصل الدراسي الذي يتردد عليه التلميذ، وأن هذه الاختلافات ترتبط بالجنسين معا والسنة الدراسية، فضلا عن الممارسات الصفية التي تنفذ في الفصول الدراسية. لعل الممارسات الصفية التي تسلط الضوء على تحقيق التقدم تسهل مشاركة والتزامات التلاميذ، بينما الممارسات التي تركز على المفاضلة والمقارنة بين التلاميذ لها تأثير سالبي على المشاركة وتزيد من حدة خطر الإيذاء، و أخيرا، العلاقات الإيجابية بين المدرسين والتلاميذ تساعد على تخفيض حدة « العدوانية « لدى التلاميذ. يمكن لهذه التحليلات أن تحدد، على أساس نظري سليم، مجموع الممارسات الصفية وإدارة الصف التي يبدو أنها تؤثر سلبا أو إيجابا على التكييف المدرسي للتلاميذ.

إن الأعمال التي عرضت خلال هذه العدد الخاص و الموضوعي كانت متنوعة و حاولت استطلاع الرأي حول مستويات مختلفة من التعليم المدرسي.

أولا، كل هذه الأعمال تعتمد على منظور سيوسيومعرفي، والتي تركز على التفاعلات القائمة بين الفرد و بيئته. إن المتعلم لا يمكن اعتباره مجرد ذات سلبية في بيئته. ولا كذات مدفوعة قهرا على وجه الحصر، بل ينتقي ويفسر بنشاط إشارات المحيط الذي ينتمي إليه، لا سيما من حيث أهدافها (الإشارات)، و يستجيب لها بناء على تقييمه للحالة القائمة في جزء منها على المعتقدات والموارد.

بعيدا عن وجهة النظر الآلية للتحفيز، فهذا المنظور يؤكد على قصدية أو نية المتعلمين، التي قد تكون أكثر أو أقل أو توافق نية أو قصدية المدرس أو المدرسة. كذلك التعلم فهو يتطلب درجة معينة من المشاركة الطوعية من طرف المتعلمين، وهذا يدعو على الأرجح إلى مستوى معين من الحوار أو التفاوض من جانب المدرس أو المكون (بكسر الواو).

ثانيا، تبين البحوث المقدمة في هذا الملف أن التحفيز ليس مفهوما أحاديا، حتى ولو كان يعتبر في بعض الأحيان لغة اختصار مريحة، وناذرا ما يحفز الشخص أو العكس، فهو يحفز أكثر أو أقل بواسطة القلق ونوعية المهمة والعديد من الأشياء التي يمكن أن تكون متناقضة بوتيرة مختلفة في نفس الآن، وهذا له انعكاسات ليس فقط على مدى مشاركة الفرد/المتعلم والتزامه داخل الفصل الدراسي، ولكن أيضا على نوعية و طبيعة هذه المشاركة. و لعل أحد الآثار المترتبة عن هذا التصور هو أن هناك مسارات متعددة للتأثير على الديناميات التحفيزية للأفراد. إن الحالة العاطفية. الإحساس باكتساب الكفايات، الأهداف،

الفائدة المتصورة، الشعور بالاستقلالية، العلاقات الاجتماعية ... إلخ. كلها عناصر من شأنها مواجهة بعض التدخلات.

ثالثا، وارتباطا بالفقرتين السابقتين، تشير نتائج البحوث (الأعمال) إلى أن التحفيز لا يقتصر بشكل حصري لا على التلميذ ولا المدرس ولا على الأسرة ولا حتى على النظام المدرسي. إن الدينامية التحفيزية ظاهرة معقدة و مركبة والتي تتداخل عواملها المختلفة بشكل وازن مع مرور الوقت. في حين، تدعو الأبحاث الحالية إلى تجاوز الحوار الذي يدعو إلى التشكيك في مسؤولية أحد الأطراف المتدخلة في مسألة التحفيز (الشباب، الآباء، وسائل الإعلام و طرق التدريس ..)، وذلك بغية طرح ما يمكن لكل طرف فعله، وفق مستواه، لتوفير بيئة تربوية سليمة لأكبر عدد من المتعلمين، فضلا عن كيفية التعبير عن هذه الإجراءات. إن هذه المقاربة التي تم اختيارها هنا ليست بطيعة الحال إلا واحدة من بين مقاربات أخرى تندرج ضمن علم النفس التربوي، إنها بالتأكيد ليست المقاربة الوحيدة ذات الصلة بالموضوع، وستكون أكثر إفادة إذا ما تم إثراؤها بمقاربات أخرى سوسيولوجية و إكلينيكية و أنثروبولوجية أكثر، ومع ذلك نأمل أن يجد خلالها القارئ عناصر الفهم فضلا عن مسارات العمل الغنية.

المراجع:

Bourgeois E. (2006).
« La motivation à apprendre ». In E.Bourgeois & G. Chapelle (éd.), Apprendre et faire apprendre. Paris : .PUF, p. 229-246

Cosnefroy L. (2004). « Apprendre, faire mieux que les autres, éviter l'échec : L'influence de l'orientation des buts sur les apprentissages scolaires ». Revue française de pédagogie, n° 147, p. 107-128.

Pintrich P. R. (2003). « A motivational science perspective on the role of student motivation in learning and teaching contexts ». Journal of educational Psychology, vol. 95, p. 667-686.

صاحب المقال الأصلي:

Benoît Galand

benoit.galand@psp.ucl.ac.be
Université catholique de Louvain

العنوان الأصلي:

La motivation en situation d'apprentissage : les apports de la psychologie de l'éducation

مصدر المقال:

http://rfp.revues.org/59
Revue française de pédagogie
Numéro 155 (avril-juin 2006)
La motivation scolaire : approches récentes et perspectives pratiques : P : 5_8